حياة المرأة الاجتماعية في الاندلس (الازياء والعطور أنموذجا)

الدكتورة كميلة طالب حاتم/ كلية الآداب /الجامعة المستنصرية

الملخص :

كان للمرأة الاندلسية مكانة مهمة في المجتمع وكانت تتمتع بالحدية لاسيما ارتداء ما يناسبها من ملابس وزينة ، وحلي، والتي تأثرت بها تأثراً كبيراً من المشرق ، إذ كان للفنان العراقي زرياب دور كبير في نقل كل ما يخص المرأة من ملابس وحلي وعطور ، إذ عرفت باسم(المودة) ، وكانت المرأة الاندلسية تهتم بملابسها لاسيما في مواسم معينة مثل الاعياد والمناسبات ، ويزداد هذا الاهتمام في حفلة الزواج ، إذ تظهر في حلةٍ بهية ، وكان هذا المسؤول عن زينتها يعرف (بالطلاء) .

المقدمة :

مما لاشك فيه أن المرأة الاندلسية قد تمتعت بمكانة راقية في ظل دولة بني أمية في الاندلس قلما نجدها في عصر آخر ، فقد كان لها حضور مميزاً في الحياة الاجتماعية، والعلمية، والاقتصادية، وما يهمنا في هذا الجانب هو الجانب الاجتماعي وتأثيره بها ، فقد طرأ على اللباس تطورات كثيرة ، لما للمشرق من تأثير واضح في تجديد الثقافة الأندلسية .

وهذا ما ظهر جلياً على يد عبد الرحمن الداخل آخر خلفاء بني أمية في المشرق واول من أسس دولة في الأندلس ، إذ نقل كل ما يخص المشرق وخاصة من ناحية المأكل والمشرب والملبس من أجل أن يخلق له بيئة في الاندلس مقاربة لبيئة المشرق وذلك لحبه وشغفه لبلاده (دمشق) .

أما اسباب أختيار الموضوع ، فهو ما تزخر به المكتبات من كتب ورسائل وأطاريح ودوريات منتشرة في كل أنحاء العالم عن الاندلس بصورة عامة وعلى المرأة بصورة خاصة ، إلا ان تلك المصادر والكتب لم تتطرق الى موضوع ملابس وحلي وزينة المرأة بصورة واضحة ، وإنما كانت عبارة عن شذرات متناثرة في أمهات الكتب وبطونها ، مما دفعني الى جمعها واختصارها في هذا البحث ، وسوف تكون لنا وقفة طويلة مستقبلاً ان شاء الله لدراستها وشرحها مفصلاً في كتاب مستقل .

ولذا تأتي أهمية البحث من أجل اظهار وعرض التأثير المباشر بين المشرق والمغرب في كافة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية ، وسوف نسلط الضوء على الجانب الاجتماعي وكيف كان التأثير مباشراً على لباس وملابس المرأة الاندلسية لدرجة عمل مصانع لصنع الاقمشة مثل ما موجود في المشرق لكي تنتج النوع نفسه من الاقمشة المشرقية لصنع ملابس المرأة الاندلسية وشراء أغلب الاحجار الكريمة من المشرق الى الأندلس لعمل الحلي والعطور الخاصة بالمرأة الاندلسية.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى ثلاثة مباحث المبحث الأول (الزي واهميته في الدولة الاندلسي) ويضم فرعين الفرع الأول (ملابس المرأة (أغطية الرأس) والفرع الثاني (أغطية الجسم)، أما في المبحث الثاني فتطرقنا فيه الى (أدوات الزينة) للمرأة الأندلسية ، اما المبحث الثالث فهو (الحلي الخاص بالمرأة الأندلسية أو حُلي المرأة الأندلسية) وكذلك أحتوى البحث على خاتمة ضمت أهم ما توصل اليه البحث من النتائج ، وكذلك احتواء البحث على قائمة بالمصادر والمراجع .

المبحث الاول/ الزي واهميته في العصر الاندلسي

أن الحديث عن الزي يكون عاماً في كافة المدن الأندلسية، إلا أن المصادر لم تُشر بصورة مستقلة إلى أزياء أهل كل مدينة أو كورة (ولاية) ، جاء اهتمام أهل الاندلس بالصحة والنظافة بعد الفتح الاسلامي ، لاسيما وان المسلمين في أي مدينة يدخلونها يتوجهون الى بقاء الحمامات العامة وذلك لأن الطهارة ركن اساس في الاسلام ، لذا يكون الحديث عن الأزياء في مدن الأندلس بصورة عامة(1).

ويروي المقري نصاً في غاية الأهمية يوضح مدى اعتناء أهل الأندلس بنظافة أجسادهم وملابسهم ويقول : ((وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك ما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطوبه صائماً، ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ولا يظهر فيه ساعة على حالة تنبو عن العين)) (2).

كذلك يوصفهم أبن الخطيب(3) إذ يقول : (وصورهم حسنة وانوفهم معتدلة والوانهم مشربة بحمرة وألسنتهم فصيحة يتخللها عزب كثير وتغلب عليهم الامالة واخلاقهم ابيه في معاني المنازعات وأنسابهم عربية ، ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشي بينهم أطلق المصبوغ شتاءً) .

وكذلك أسهم المغني العراقي أبو الحسن بن علي الملقب بـ ((زرياب)) في نقل نزعة التجديد والحداثة والتغيير المعروفة بـ (المودة) بالبغدادية الى الأندلسيين سواء كان ذلك في ثيابهم ام أزيائهم وطريقه ارتدائها واختيار ألوانها وأنواعها حسب فصولها، فضلاً عن ذلك تعليمهم طريقة تصفيف الشعر ورفعه خلف الآذان بدلاً من تركه مسدولاً على جباههم وأعنيهم(4).

أتضح لنا ما قدمته المصادر ومما أشار إليه النص السابق إن للمشرق تأثيراً واضحاً وفعالاً للأندلسيين في تقليده والإفادة منه في الحياة اليومية ، إذ استفاد الأندلسيون مما نقله لهم زرياب من أمور تخص الهندام والملابس والترتيب والمودة.

وقد استفادت الأندلس من نزعة التجديد والمودة والملابس المشرقية، وكان ذلك في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، إلا أن ذلك كله كان فيما يبدو قاصراً في معظمه على الطبقة الارستقراطية بوجه خاص(5).

وكان الأمير عبد الرحمن الأوسط أول من أنشأ الطراز الأندلسي إذ أنشأ داراً للطراز في قرطبة ، وفيها كانت تنسج ثياب الأمراء والخلفاء من الحديد المختوم والمرقوم بالذهب(1).

---

(1) العبادي، أحمد مختار في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية، د.ت)، ص173.

(2) المقري، شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني(ت: 1041هـ/1632م) ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تح: د. إحسان عباس، مطبعة دار صادر ، بيروت ، (لبنان ، 1968م) ، ج1 ، ص223؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الأسلامي حتى سقوط قرطبة، ط1، مكتبة المهتدين الإسلامية : 2006م)، ص78 – 79.

(3) الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج1 ، ص34.

(4) سالم، عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة، دراسة تاريخية أثرية في العصر الإسلامي، جزءان، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية، 1984م)، ج2، ص99؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص79.

(5) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص199 – 100؛ العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص182.

وكان للأندلسيين مصانع لصنع منسوجاتهم خاصة بهم مثل مصانع المرية والتي كانت تنتج أقمشة شبيهة بالأقمشة الشرقية ونفس أسمائها مثل الأصبهاني نسبة الى أصبهان والجرجاني نسبة مدينة جرجان والعتاب نسبة الى محلة العتابية غرب بغداد اسفلاطون نسبة الى بلاد اليونان والتي تنتج الحرير. ومن ثم انتشرت في المدن الإسلامية شرقاً وغرباً ومنها الى الأندلس عن طريق التجار(2).

وقد أتضح لنا جلياً أن أغلب الأقمشة المشرقية والتي انتقلت الى بلاد الأندلس كانت فاخرة الصنع ولاقت قبولاً واسعاً في الأندلس مما أدى الى افتتاح مصانع لانتاجها نتيجة لزيادة الطلب عليها وحصلت على أرباح كبيرة للأندلسيين وهو ما يؤكد انتقال هذه الأقمشة من المشرق الى الأندلس.

وقد شغفت أوروبا المسيحية بتلك الملابس الأندلسية المنقولة عن المشرق كثيراً ، حتى أن عظماء وملوك المسيحيين منهم الأمير دون فيليب وزوجته اليزابيت ملك إسبانيا والمؤرخ دون رود ريجو خيمت دي رادا. قد وضعوا بعد موتهم في أكفان نفيسة من صناعة الأندلس من نسيج مصانع المرية(3). مما يدل على انتشار هذه الملابس المشرقية الأصل ليس في الأندلس فحسب وإنما كان لها انتشار وقبول في دول أوروبا المسيحية واستخدمت في الحياة العام.

وذكر إبن خلدون أن صناعة الملابس من أعمال الحضر والعمران وأن أهل البداوة لا يحتاجون هذه الصناعة لأنهم يشتملون الملابس اشتمالاً أي يلفونها حول أجسادهم. وأن خياطة الملابس من مذاهب الحضارة(4).

وكان اللون الأبيض شعار الحزن عند بني أمية في الأندلس. وقد اختلفت أزياء أهل البادية عن أهل الحضر فمن الملاحظ أن أزياء أهل البوادي تتسم بالبساطة فكانوا يرتدون الجبة المصنوعة من النسيج السميك والقمصان المعروفة بالدراعة أو الجلباب المصنوع من الصوف المفتوح في جزء منه. وكان زي المسلمين يختلف عن زي أهل الذمة. حيث كانت المرأة الذمية ترتدي الجُلجُل(*) تفرقة لها عن نساء المسلمين(5).

أهم أشكال أزياء النساء الأندلسيات :

أتسم طابع الزي النسوي بالأناقة ، إذ عمدت النساء الأندلسيات الى التفنن في لبس المصبغات والمذهبات. والديباجات من الملابس الى درجة الغلو مما جعل إبن الخطيب يقول ((نسأل الله أن يغضن عنهن فيها عين الدهر)) (6).

---

(1) إبن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، (ت808هـ/1406م)، المقدمة، ط1، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت : 1413هـ - 1992م)، ج4، ص438؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص80.

(2) عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص151 – 152؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص79 80.

(3) إبن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، (ت658هـ/1260م)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، مطبعة الشركة العربية للطباعة، (القاهرة : 1963م)، ج2، ص192.

(4) إبن خلدون، المقدمة، ج4، ص439؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص80.

(*) الجُلجُل : هو عبارة عن خُلخُال يحدث صوتاً مميزاً عند المشي. ينظر: إبن خلدون، المقدمة، ص460؛ د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص81.

(5) إبن خلدون، المقدمة، ص393؛ عنان، محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر والخلافة الأموية والدولة الأموية، مطبعة الخانجي، (القاهرة : 1955م)، ص215.

(6) إبن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص127.

أولاً : ملابس المرأة

1-أغطية الرأس

أ – الطرحة :(البرانس)

من أبرز أنواع أغطية الرأس ، وهي غطاء يوضع على الرأس وينزل الى الخلف قليلاً ويستخدم للرجال والنساء ولكن الفرق تكون طرحة النساء أطول وزاهية الألوان وفي بعض الأحيان تكون مزينة أو مرصعة بجوهرة(1).

ما يلبسه الرجال هو العمامة وهذا يختلف عن لباس المرأة ولم يعرف لباس الزي الذي يسمى (البرانس) الا بعد مجيء المرابطين

ب – العصابة :

من أغطية الرأس لدى النساء الأندلسيات العصابة والتي هي عبارة عن قطعة من الصوف مربعة وسوداء اللون ذات حواف حمراء وصفراء اللون يتم تثبيتها على هيئة مثلث ثم تربط بها الرأس من الخلف وتعقد عقدة واحدة(2).

ونلاحظ مما تقدم مدى التشابه بين العصابة الأندلسية والعصابة المشرقية والتي كانت ترتديها نساء المشرق لاسيما في بلاد العراق ، والتي إذا ما علمنا أنها انتقلت الى بلاد الأندلس عن طريق بعض التجار(3). وكانت المرأة الاندلسية عادة ما تسرح الشعر ويكون مسدولاً من تحت الغطاء .

ج – الغفارة :

وهي قطعة قماش تضعها المرأة بين رأسها والخمار حتى لا يتسخ خمارها من الزيت الذي تتعطر به وتضعه على شعرها(4).

وكذلك هناك أنواع أخرى من أغطية الرأس مثل القشطول والنقاب. الذي هو نوع آخر من الحجاب ولكنه مزود بفتحتين صغيرتين أمام العينين حتى تتمكن المرأة من السير. وكان النقاب يرتدى في الأندلس ومصر وكذلك البدو. وكذلك كان النقاب يعرف بالخمار(5).

2- أغطية الجسم

أ – الدرع :

وهو قميص المرأة الكبيرة السن؛ أما المجول فهو قميص المرأة الصغيرة أو الشابة، وكذلك هناك لباس يسمى الأزرار. وهو الذي يغطي الجزء الأعلى من الجسم. وكان أزار النصرانية أزرق

---

(1) إبن حيان، أبو مروان خلف بن حيان القرطبي، (ت469هـ/1076م)، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تح: د. محمود علي مكي، الدار المصرية للتأليف، (القاهرة، 1390هـ/1971م)، ص254.

(2) العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص212؛ د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص81.

(3) د. عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص142؛ د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص81.

(4) كحالة، عمر رضا، المرأة في عالمي العربي والإسلام، ط2، مطبعة سنة الرسالة، (القاهرة : 1981م)، ج2، ص212؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام، ص421.

(5) د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص81 – 82.

واليهودية أصفر. وكذلك تميزاً لهن عن نساء المسلمين. ويوجد شيء آخر يشبه الأزرار وهو الملحفة. وهو رداء كبير تتغطى به النساء عند خروجهن من بيوتهن(1).

ب – السراويل :

وهي ما تشبه البنطلونات الى حد كبير. ولكنها فضفاضة، نوعاً ما وقد كان كثير من الملابس مشتركاً بينها فكلاهما كان يرتدي فوق البدن من الاعلى قميصاً من الصوف أو القطن ومن الاسفل السراويل. وكانت ملابس الصيف خفيفة بينما ملابس الشتاء على العكس(2).

وكانت السراويل تختلف من حيث نوعية الأقمشة حسب المتواجد منه في المنطقة المعينة إذ كان الاختلاف يشمل ألوان السراويل إذ الألوان الغامقة والسادة تخص الرجال بينما الألوان الزاهية والزركشة تخص النساء وكذلك كان هذا الاختلاف فيما يخص سراويل النساء وألوانها فقد كانت النساء الأكبر سناً ترتدي الألوان الأكثر غمقاً بينما النساء الأصغر (الشابات) يرتدين الألوان الزاهية(3).

ج – الأتُب :

ومن ألبسة المرأة الأندلسية الأخرى ما عرف بـ (الأتُب) وهو ثوب أو بُرد يشق في وسطه فتلقيه المرأة في عنقها من غير كم ولا جيب والجمع (أتُوب)(4).

د – الوشاح :

هو نوع من الأحزمة العريضة المصنوعة من الجلد والمزينة بالأحجار الكريمة. ويضعها النساء في وسطهن، أما وشاح الرجال فيختلف عن وشاح المرأة إذ لا يحتوي على الزخارف والأحجار الكريمة أو أي نوع من أنواع الزينة وأغلب الأحيان يكون لونه غامقاً(5).

وقد اختلفت معنى الوشاح ما بين المشرق والأندلس ففي المشرق يعني الوشاح: العصابة التي توضع على الرأس. أما في الأندلس فالوشاح يعني الحزام. وهو الحبل المفتول والذي يكون في أغلب الأحيان مصنوعاً من الجلد الطبيعي. وتبقيه المرأة حول وسطها. ويكون عادة من لونين مختلفين(6).

وعرفت نساء الأندلس استعمال الفراء والجلود في ملابسهن وخاصة وأن قسوة المناخ في الأندلس توضح اهتمام أهلها بمثل هذه الملابس. وقد استخدموا الفراء واستخرجوه من بعض

---

(1) المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/1431م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (لبنان : 1968م)، ص421؛ د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص82. عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص119 – 120؛ حمدي عبد المنعم، مجتمع قرطبة في عصر الدولة الأموية في الأندلس، مكتبة النهضة المصرية، (الإسكندرية : 1984م)، ص574.

(2) إبن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص415؛ د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص82.

(3) عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص119؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص355.

(4) إبن الكردبوس، عبد الملك (عاش أواخر القرن الخامس الهجري) تاريخ الأندلس، تح : أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية، (مدريد : 1971م)، ص298؛ د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص193.

(5) مؤلف مجهول : تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت : 2007)، ص236؛ د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص185.

(6) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تح: إبراهيم الأمبياري، مطبعة دار الكتاب المصري، (القاهرة، 1989)، ص215.

الحيوانات مثل الأرنب الجبلي والفراء المركزي المصنوع من شعر الماعز. وحيوان أفريد على (الفتل) وهو ضرب من الثعالب فروته أجود أنواع الفراء الى جانب الملابس الصوفية(1).

أما أفخر أنواع الثياب للنساء فهو ما عرف بأسم الديباج أي الحرير المطرز الذي كانت تتزين به ملوك الأعاجم ويذكر أنه كان مضرب المثل في الفخامة والرقي. هذا فيما يخص ألبسة النساء بصورة عامة أما زي النساء المتطرفات فكان القصب الملون نوعاً من الأقمشة فضلاً عن الحرير.

أما ملابس الجواري والراقصات والعازفات فيلبسن ملابس شفافة سهلة الخلع وكان اللون الأحمر هو المفضل(2).

وكان العروس الأندلسية، تحرص على أن يتكون جهازها من الأقمشة التي يكون معظمها من الحرير والقطيفة وهي أفخر أنواع الأقمشة في ذلك الوقت ، أما بالنسبة للعروس الفقيرة (المقلة) فقد كانت تساعدها النساء وخاصة المسنات في إعارتهن بعض الثياب والحلي(3).

وهذا يدل على أن المرأة الأندلسية العجوز التي أنقطع عنها الرجاء تجلس قعيدة البيت بل كانت تحاول أن تشارك في مجالات أن صح التعبير ((الخدم الاجتماعية)) وقد أدت العلاقات المستمدة بين المشرق والأندلس بحكم الجوار الى أن يستخدم كلا الجانبين الأشياء نفسها من الأقمشة والأثاث وأدوات الزينة والحلي. ولهذا انتقل الكثير من أسماء الملابس العربية الى اللغة الإسبانية. ومنها كلمة جلابية Chilaba . وقميص Camisa وسروال Zaragaelle (4).

وفاتني أن أقول أن هناك اختلافاً بسيطاً أن الأندلسيين خالفوا الشرقيين في أمور كثيرة فتحرروا من لباس الرأس (العمائم) ، حيث كان أهل الأندلس لا يميلون الى ارتداء العمامة ومن الأمور المختلفة الأخرى هي أن لباس أهل الأندلس في الحزن هو البياض وهو عكس ما مألوف عن أهل المشرق الذين يلبسون السواد حيث يذكر المقري أبياتاً لشاعر مجهول يقول :

ألا يـــا أهـــل أنـــدلس فطنـــتم بلطفكـــم الـــى أمـــر عجيـــب

لبســـتم فـــي مـــأتمكم بياضـــاً فجئـــتم منـــه فـــي زي غريـــب

صـــدقتم فالبيـــاض لبـــاس حـــزن ولا حـــزن أشـــد مـــن المشـــيب(5)

(1) إبن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص360؛ د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص85.
(2) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد (ت56هـ/1172م)، الحوادث والبدع، تح: محمد طالبي، المطبعة الرستمية (تونس : 9598)، ص124. د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص84.
(3) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص213.
(4) راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص85.
(5) المقري، نفح الطيب، ج3، ص440؛ الكعبي، د. علي عطية، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الى نهاية دولة الطوائف، مطبعة دار عدنان، (بغداد، 2014)، ص148.

المبحث الثاني / أدوات الزينة

كانت نساء الأندلس تحرص حرصاً كبيراً على زينتهن وارتداء أفضل الملابس والتحلي بالذهب والحلي لاسيما في الأعياد. ومن عادتهن في المناسبات والزواج والأعياد تكحيل العيون والتخضب بالحناء. ويبدو أن هناك بعض النساء كن يفرطن في عملية التزين أفراطاً كبيراً الى الحد الذي كان يفحشهن ولا يجملهن وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

تـــــزين إذ قلـــــت ويفحشـــــن أمرهـــــا

وإذا أفرطـــت يومـــاً وهـــل يُحمـــل الفـــرط(1)

أما عن أدوات الزينة التي تستخدمها النساء فقد ذكر الونشريسي بعضاً منها مثل المكاحل والمراود الغالية. والأمشاط والأنعلة، والقباقب، وبعضاً من الأحجار الكريمة وكانت المراود تصنع من الفضة للاكتحال(2).

وكذلك استخدمت النساء الأندلسيات السواك للمحافظة على صحة أسنانهن وكان يصنع من خشب عطري للعناية بالفم والأسنان.

يقول الاسعد بن بطليطة(3) :

أرى نكهـة المسـواك فـي حمـرة اللحـى وشـاربك المخضـر بالمسـك قـد خطـا
عســـى قـــزح قبلتـــه فإخالـــه علـى الشـفه اللحيـاء وقـد جـاء مختطـا

وأن هذه العادة لم تكن تعرفها المجتمعات الأوربية الغربية في ذلك الوقت. وأن العطور والمراهم كانت تستخدم على نحو شائع في كل طبقات المجتمع ويستخدمها الرجال والنساء على حد سواء. ويذكر أن المرأة الأندلسية كانت تهتم اهتماماً كبيراً بنظافتها فكانت تخرج الى الحمامات العامة بانتظام وكانت قرطبة تضم أعداداً كبيرة من الحمامات للنساء خاصة بهن(4).

---

(1) إبن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت456هـ/1063م)، جمهرة انساب العرب، تح: عبد السلام محمد هاروز، مطبعة دار المعارف، (القاهرة : 1971م)، 360؛ بيرس، هنري، الشعر الأندلسي، في عصر الطوائف، ملامحه القاصد وموضوعاته الرئيسة وقيمته التوثيقية. تر: د. أحمد مكي، مطبعة دار المعارف، (القاهرة : 1988)، ص277؛ راوية عبد الحميد، المرآة في المجمع الأندلسي، ص85.

(2) الونشريسي : أحمد بن يحيى، (ت914هـ/1258م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، مطبعة دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1401هـ)، ج2، ص502؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص185.

(3) المقري ، نفح الطيب ، ج4 ، ص52.

(4) الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب، ج2، ص502؛ د. راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص185.

وقد كان الخروج للحمامات فرصة للتسلية وللخروج عن روتين الحياة اليومية ولقاء الصديقات والتمتع بقدر من الحرية بعيداً عن متاعب الحياة اليومية داخل الدور فضلاً عن ذلك فقد كانت أدوات الزينة الخاصة بالمرأة الأندلسية تباع في أسواق خاصة بالنساء.

ويذكر الونشريسي هو أحد أبواب مدينة قرطبة السبعة ويقع في الجانب الغربي منها. وكانت تقوم حوله تجارة العطارين والعطور والمراهم وأدوات الزينة الخاصة بالنساء. ولذلك أصبح ملتقى النساء من كل أنحاء المدينة. وكانت هذه الأسواق تخضع لرقابة المحتسب دائماً لسهولة الغش والتدليس في صناعة العطور والمراهم وصعوبة اكتشاف هذا الغش. لأنه يحتاج الى خبرة بالأعمال الكيميائية. وكانت من وظائف المحتسب أنه يمنع خلط الحناء القديمة بالجديدة. لأن القديم يضعف صيغتها ولونها. وكذلك يمنع خلط المسك الزعفران والعطور البلدية بالعطور الهندية الجيدة. وإذ ضبط شيء من هذا القبيل يصادر على الفور(1).

وهناك أيضاً بعض العطارين الذين يستعملون ورق الحلب وهو ثبات عشبي من فصيلة القريبات يؤكل ويعالج به في تحضير الحناء فتعطى الحناء رونقاً وحمرة جميلة. وكانت أدوات الزينة في المغرب بإسم (الطلاء) ومن أشهر من قام بهذه المهنة واحترفها تلك الصناعة هو (أسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم) ولقب بشيخ الطلائين.

وهو رجل أفنى عمره في العلم والصناعة أما العلم فهو الكيمياء وأما الصناعة فهي مساحيق التجميل للنساء. وقد تخصص إسماعيل بن يوسف بوسائل تجميل وجوه النساء وتطريتها بالدهانات والعقاقير المناسبة. حيث قام بعدة جولات الى المشرق قبل أن يغادر الى الأندلس بعد قيام الدولة الفاطمية في المغرب مسقط راسه حيث قصد قرطبة واستقر بها في خلافة عبد الرحمن الناصر أحد خلفاء الأندلس(2).

ويذكر الونشريسي ما معناه بأن أشد اهتمام للمرأة بجمالها وباستخدام أدوات التجميل يكون يوم عرسها فيطلى وجهها وجسدها بأنواع معينة من الدهانات الخاصة بتلك المناسبة(3).

المبحث الثالث / الحلي الخاص بالمرأة الأندلسية أو حلي المرأة الأندلسية

تأثرت صناعة الحلي في الأندلس تأثراً كبيراً بالحلي المشرقية لاسيما في عهد الأمير الأموي (عبد الرحمن الثاني الأوسط).

الذي فتح أبواب الأندلس أمام التجار العراقيين وبضاعتهم المختلفة التي منها الحلي، وأدوات الزينة. والتي سرعان ما تشترك بين الأندلسيين. وفي هذا الصدد يذكر إن الأمير عبد الرحمن الأوسط. اشترى من أحد التجار عقداً كان يعود للسيدة دينار، وأهداه لزوجة من زوجاته تسمى (الشفاء) فعرف العقد بعد ذلك بإسم (عقد الشفاء) وكان هذا العقد قد سرق ضمن الأشياء الثمينة الأخرى، التي نهبت في بغداد أبان الفتنة والحروب التي قامت بين الأمين والمأمون وهذا العقد يعود للسيدة زبيدة زوجة

(1) الونشريسي، المصدر نفسه ، ص502.
(2) إبن حزم، عصره أنساب العرب، ص420؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص190.
(3) حسين، ممدوح، مقال بمجلة العربي عن فن الطلاء والمكياج والطلأ دون صانعوا الطلاء المقال عن إسماعيل بن يوسف، حياته والمناصب الى وصل إليها وبراعته في صناعة مواد التجميل، مجلة العربي، العدد 328، السنة 29، مغرب، 1986، ص107.

هارون الرشيد. ومن الطريف إن أسطورة هذا العقد استمرت في إسبانيا لأكثر من قرن والى ما بعد خروج المسلمين من الأندلس عندما وضعته أحدى ملكات إسبانيا المسيحية في حوزتها(1).

ويذكر إبن عذاري عن الحُلي القادمة من الشرق، ((أن تاجراً قدم الى قرطبة زمن المنصور بن أبي عامر. ومعه جواهر كثيرة وأحجار كريمة، فاشتراها من المنصور)) (2).

ويذكر صاحب أخبار مجموعة : قصة تدل على مدى ما تمتعت به جاريات أمراء بني أمية من التزين بالحلي الثمينة، فيقول : ((أن هشام الرضا جلس يوماً مع جارية له ودخل عليه رجل يدعى (الكناني) وقع عليه الظلم من عامل مدينة جيان، وذلك بأن طلب منه أن يشارك بدفع الدية عن قتل رجل من قبيلة أخرى. وتحمل هو ورجال قبيلته الدية لأن القاتل من قبيلتهم فمد هشام يده الى الجارية الجالسة بجواره. وكان عليها قلادة بمبلغ ثلاثة آلاف ديناراً فأخذها منها. وأعطاها للكناني ليسد بها حاجته)) (3).

ولكن ما كان يصل القرن العاشر الميلادي الى نهايته حتى بدأت قرطبة تحتل مكانة عالية تفوق بيزنطة في صناعة الحلي والجواهر من عقود وخواتم ومعاصم مرصعة وفي تزيين الجلود وكان معظم المشتغلين بصناعة الحلي القرطبي من اليهود وكانوا يقومون هذه المهمة في مكان معد لذلك يعرف (بالصاغة) ومما ساعد على ازدهار صناعة الحلي في إسبانية وجود الكثير من الأحجار الكريمة البالغة القيمة والتنوع والندرة كالياقوت الأحمر. حجر اليهود وحجر اللؤلؤ والمرجان واللازورد والبلور(4).

ومن أشهر أنواع الحلي الأندلسية الخواتم بفص أو بدونه والعقود والأقراط التي تحلى الأذن والجبهة والسوار والخلاخيل والتيجان والدلايات الذهبية والمرصعة وكانت محلات الصاغة الكبرى تتركز في مدينتين قرطبة وإشبيلية.

وتجدر الإشارة الى دقة ومهارة الصياغ الذين يمتازون بدقة بين الذهب الخالص والذهب المشرب بالفضة، ومع ازدهار صناعة الحلي ازدهرت أيضاً صناعة العلب العاجية المطعمة والمرصعة الحلي بداخلها. وكانت هذه العلب تضع خصيصاً بجواري الخلفاء وزوجاتهم لصيانة حليهن وعطرهن(5).

---

(1) إبن عذاري، إبو عبد الله محمد بن عذاري المراكشي، عاش حتى (695هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مراجعة ليفي بروفسنال، مطبعة دار الثقافة، بيروت، (لبنان، 1400هـ)، ج2، ص91؛ عب العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج2، ص144؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، ص265؛ رواية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص87 – 88.

(2) إبن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص191؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة، ج2، ص144.

(3) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص122؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي، ص90.

(4) المصدر نفسه، ص184.

(5) إبن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص415؛ عبد العزيز سالم، قرطبة، ص203؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلس، ص88 – 89.

ومن أروع الأمثلة للإشارة لا للحصر أن صناعة هذه الصناديق اختصت بها مدينة الزهراء. حيث صنعت صندوقاً من العاج بأمر من الخليفة الحكم المستنصر بالله في سنة (355هـ) للسيدة (صبح) أم هشام المؤيد ولي العهد. وأن هذا الصندوق موجود الى يومنا بمتحف بلنسية بمدريد(1).

الخاتمة :

وفي نهاية هذه البحث ينبغي ان نثبت حقيقة مهمة توصلت اليها عن دور ووضع المرأة المسلمة في المجتمع الاسلامي الاندلسي ، وهي أنه لم يكن بالتدني الكبير الذي تصوره لنا بعض كتب المؤرخين والمستشرقين ، وأيضاً لم يكن فيه حديه زائدة خارجة عن التقاليد والعادات الاسلامية المعروفة ، التي وضعت خصيصاً للمحافظة على المرأة المسلمة بل كان وضعها يتسم بشيء من التوازن اكتسبت به بعض الحدية من البيئة المحلية التي لا محالة قد أثرت بعض الشيء في وضعها الاجتماعي ، ولكن بدون خروج عن الحدود الموسومة للمرأة المسلمة في إطار الشريعة الاسلامية وذلك للمحافظة عليها وتجنبها مواطن الشبهات .

1- اوضح البحث أن من حق المرأة الاندلسية أن تذهب الى السوق لبيع أو لشراء الاقمشة أو اللباس الذي تحتاجه أو العطور وأمور الزينة الاخرى التي تستخدمها ، وكان المحتسب يمنع دخول الرجال الى بعض المحلات أو الاماكن التي تباع بها بعض الأمور الخاصة بالنساء.

2- أبرز البحث مدى الارتباط الاجتماعي بين المشرق وبلاد الأندلس من خلال تأثيرهم بكل ما كان يحدث في الأندلس حيث قام عبد الرحمن بنقل أغلب العادات الاجتماعية المشرقية الى بلد الاندلس وكان من أبرزها الملابس وخاصة ملابس المرأة الاندلسية وكافة ملحقاتها ، فضلا عن ذلك العطور التي نقلت الى الاندلس وكان أغلبها يستخدم في المشرق .

3- لم يكن تأثير الاندلس باللباس المشرقي فحسب وإنما تطور الى أكثر من ذلك لدرجة أنه تم فتح مصنع لإنتاج نوع معين من القماش المشرقي في بلاد الاندلس ، وكان ذلك في مدينة المرية الاندلسية ، وذلك لزيادة الحاجة والطلب على ذلك النوع من القماش من قبل الاندلسيات.

4- أشرت من خلال البحث الى أن موضوع التأثر بالمشرق لم يكن باشتغال وانتعاش تجارة المشرق في الاندلس وخاصة تجارة الاقمشة والملابس والحلي والعطور المشرقية الى بلاد الاندلس وإنما تجاوز ذلك بوصول زرياب الفنان العراقي الذي وصل الى الاندلس لينقل الكثير من الاصول والعادات العراقية المشرقية الى بلد الاندلس وخاصة فيما يخص بلباس المرأة حتى عرفت الملابس وما طرأ عليها من تغيرات امتزجت بروح الاندلس وعراقة المشرق بـ(المودة) .

5- اثبت البحث أن المرأة الاندلسية كانت شديدة الاهتمام بأن تظهر بمظهر جميل ونظيف في كل حالاتها وخاصة في الاعياد والمناسبات ، وكان ذلك الاهتمام يبدو واضحاً وجلياً في يوم زواجها ، إذ كانت تطلي جسمها ووجهها بطلاء خاص ومن خلال متخصص بذلك يعرف (بالطلاء) وهو ما يشبه في وقتنا الحاضر (الصالون) ، وكانت ترتدي ابهى وازهى وأجمل الفساتين بالأحجار الكريمة وتضع

(1) عبد العزيز سالم، قرطبة، ج2، ص132 – 133؛ راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلس، ص90.

أجمل الحلي وتتعطر بعطور خاصة من الورد الطبيعي ، وتأخذ معها لبيت زوجها أفضل الملابس من الاقمشة الناعمة الحريرية والقطنية .

ولا يسعني في الختام الا أن اقول بأن المجتمع الاندلسي قد عمل على افساح المجال للمرأة الاندلسية في كافة المجالات فاستجبن واعطن وابدعن وتفنن في صورة مشرقة ومشرفة .

المصادر

- القرآن الكريم

1- إبن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، (ت658هـ/1260م)، الحلة السيراء، تح : حسين مؤنس، مطبعة الشركة العربية للطباعة، (القاهرة : 1963م).

2- إبن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب، (ت776هـ/ 1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مطبعة الخانجي، (القاهرة : 1314هـ).

3- إبن الكردبوس : عبد الملك (عاش أواخر القرن الخامس الهجري)، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية، (مدريد، 1971م).

4- إبن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، (ت456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تح : عبد السلام محمد هارون، مطبعة دار المعارف، (القاهرة: 1971م).

5- إبن حيان، أبو مروان خلف بن حيان القرطبي، (ت469هـ/1076م)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: د. محمود علي مكي، الدار المصرية للتأليف، (القاهرة : 1390هـ/1971م).

6- إبن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، (ت808هـ/1406م)، المقدمة وتكملة الكتاب، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، 1413هـ - 1992م).

7- إبن سعيد : علي بن موسى بن سعيد، (ت685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، تح : د. إحسان عباس، المكتبة الأندلسية، الدار المصرية للتأليف، (القاهرة: 1966).

8- إبن عذاري، أبو عبد الله محمد بن عذاري المراكشي، عاش في (712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مراجعة ليفي بروفنسال، مطبعة دار الثقافة بيروت

9- الطرطوشي : أبو بكر محمد بن الوليد، (ت560هـ/1172م)، الح، (لبنان، 1400هـ). وادث والبدع، تح: محمد طالبي، المطبعة الرستمية، (تونس : 1991م).

10- المقري : شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، (ت1041هـ/1632م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: د. إحسان عباس، مطبعة دار صادر، بيروت، (لبنان : 1968م).

11- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، مطبعة دار الكتاب المصرية، (القاهرة : 1989م).

12- مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بويابه، مطبعة دار الكتب العلمية، (بيروت، 2007).

13- الونشريسي، أحمد بن يحيى، (ت914هـ/2158م)- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، مطبعة دار الغرب الإسلامي، (بيروت : 1401هـ).

المراجع :

1- بروفنسال، ليفي، سلسلة محاضرات عامة في تاريخ إسبانيا الإسلامية، مطبعة دار المكشوف، (بيروت، 1956م).
2- بيرسن، هنري، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، تر: د. أحمد مكي، مطبعة دار المعارف، (القاهرة، 1988م).
3- حسين مؤنس، فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة ، (القاهرة ، 1963).
4- حسين، ممدوح، مقال بمجلة العربي عن فن الطلاء والمكياج والطلاؤون صانعوا الطلاء والمقال عن إسماعيل بن يوسف حياته والمناصب التي وصل أليها وبراعته في صناعة مواد التجميل، مجلة العربي، العدد 3280، السنة 29، سنة 1986.
5- حمدي عبد المنعم، مجتمع قرطبة في عصر الدولة الأموية في الأندلس، مكتبة النهضة المصرية، ، الإسكندرية : 1984م.
6- راوية عبد الحميد، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط قرطبة، ط1، مكتبة المهتدين الإسلامية : 2006م .
7- سالم، عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة، دراسة تاريخية أثرية في العصر الإسلامي، جزءان، مطبعة مؤسسة الشباب الجامعة، (الإسكندرية، 1984م).
8- سالم ، عبد العزيز ، تاريخ المسلمين ، دار المصرية للتأليف ، (القاهرة ، 1971) .
9- العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، مطبعة مؤسسة الثقافة الجامعية، (الإسكندرية، د.ت).
10- علي، عطية، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح حتى نهاية دول الطوائف، مطبعة دار عدنان، (بغداد، 2014م).
11- عنان، محمد بن عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر والخلافة الأموية والدولة الأموية، مطبعة الخانجي، (القاهرة، 1955م).
12- كحالة، عمر رضا، المرأة في عالمي العرب والإسلام، مطبعة مؤسسة الرسالة، (القاهرة، 1981م).

The Holy Quran

1- Ibn al-Abar, Abu Abdullah Mohammed bin Abdullah al-Qudai, (d 658 AH / 1260 AD), Hilla Al-Siraa, under: Hussein Mounis, Arab Printing Press Company (Cairo: 1963).
2-Ibn al-Khatib, San Din al-Din Abu Abdullah Mohammed bin al-Khatib, (d. 776 AH / 1374 AD), the briefing in the news of Granada, under: Mohammed Abdullah Annan, printing press Khanji, (Cairo: 1314
3-Ibn al-Kerdbus: Abdul Malik (lived in the late fifth century AH), the history of Andalusia, under: Ahmad Mukhtar Abadi, Islamic Studies Press, (Madrid, 1971).

4-Ibn Hazm, Abu Mohammed Ali bin Ahmed Al-Andalusi, (d.
5-Ibn Hayyan, Abu Marwan Khalaf bin Hayyan al-Qurtubi, (d 469 AH / 1076 AD), adapted from the news of the people of Andalusia, under: d. Mahmoud Ali Makki, the Egyptian House of Authorship (Cairo: 1390 AH / 1971 AD).
6-Ibn Khaldoun, Abdul Rahman bin Khaldoun (d. 808 AH / 1406 AD), Introduction and book supplement, Dar Al Kotob Scientific Press, (Beirut, 1413 - 1992)
7 - Ibn Said: Ali bin Musa bin Said, (d. 685 AH / 1286 AD), Morocco in the ornaments of Morocco, under: d. Ihsan Abbas, Andalusian Library, Egyptian House of Authorship (Cairo: 1966).
8 - Ibn Adhari, Abu Abdullah Mohammed bin Adhari Marrakech, lived in (712 AH / 1312 AD), the statement of Morocco in the news of Andalusia and Morocco, review Levi Provencal, Press House of Culture Beirut
Tartoushi: Abu Bakr Mohammed ibn al-Walid, (d. 560 AH / 1172 AD), al - (Lebanon, 1400 e). Wadeth and Albada, under: Mohammed Talbi, Rustamiya Printing Press, (Tunisia: 1991).
10 - Almqri: Shihab al-Din Ahmed bin Mohammed Tlemceni, (d. 1041 AH / 1632 AD), Naf Tayeb in the branch of Andalusia wet and stated its minister to San Din al-Khatib, under: d. Ihsan Abbas, Dar Sader Press, Beirut, Lebanon (1968).
11 - anonymous author, news group in the conquest of Andalusia, under: Ibrahim al-Abyari, Press House Egyptian Book, (Cairo: 1989).
12 - Anonymous author, the history of Andalusia, under: Abdul Qader Bouyaba, Press House of Scientific Books, (Beirut, 2007.
13 - Alonshrisi, Ahmed bin Yahya, (d. 914 AH / 2158 AD) Standard
Morocco and the whole of Morocco for the fatwas of African scholars, Andalusia and Morocco, Dar Al Gharb Islamic Press, (Beirut: 1401 e).

The social life of women in Andalus
(Fashion and perfume as a model)

Dr. Kamila Talib Hatim

College of Arts / Al-Mustansiriya University

drkm1980@gmail.com

Summary :

The Andalusian woman had an important place in society and was particularly challenged to wear appropriate clothing and accessories, and jewelery, which was greatly influenced by the Orient, as the Iraqi artist Ziryab had a great role in the transfer of all women's clothing, jewelry and perfumes, as known as (And the Andalusian woman was interested in her clothes, especially in certain seasons such as holidays and occasions, and this interest is increased at the marriage ceremony, as it appears in a gorgeous suit, and was responsible for her adornment known (paint).